Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فوقها بما أوتيت من شجاعة وذكاء . إلا أنك حينما تسمعها صارخةً كثيراً ما تظنّ أنها تفعل لتؤكد لك أنها غير خائفة ، ولك أن تقدّر كذلك أنها تصرخ لتسمع صوتاً إنسيًّا ـ وإن كان صوتها ـ يبعد عنها الرعب والوجل في وحدتها الفكرية . أما قاسم فلا يصرخ ولا يخاف ولا يرتعش . في فكره مقدار الكمال الكافي لاختطاط النظريات ، وفي أصالة رأيه وحزمه من الجدارة ما يحوّل النظريات إلى ما يطابق الواقع ، بل هي الواقع بعينه . وله جناحان يدفعان به إلى نقطة ادراكية يشرف منها على الماضي والحاضر والمستقبل وعلى جميع البيئات والأمم والتواريخ . فيضع هناك كرسي القضاء ـ كرسيهُ ـ ويجلس متأملاً مقابلاً بين شعبٍ وشعب وعصرٍ وعصر ، باحثاً في كل آنٍ وزمانٍ عن تلك السعادة الحلال المتمثلة له في صورة إمرأة « حائزة لجمال المرأة وعقل الرجل » . وبين زرافات النساء المارة أمامه تستوقف خاطره امرأة بلاده ، أمه وأخته وزوجته وابنته أولئك اللاتي أوجدتهن الطبيعة صديقات لحزنه وأنسه . وكأني به يناديهن فيلبين النداء بطيئات متسكعات تعبات . ويدنين فيرى عليهن غشاءً يمنع عنهن نور الشمس ونور الحياة : الحجاب !

لهذه الكلمة دويٌّ مرعب في نفسه كما لدويٍّ أبواب السجون في مسمع من حُكم عليه بالسجن المؤبد ظلماً . فيمسك بهذا الحجاب ويقلب معانيه من جميع الوجوه ، ويدرس تاريخ نشأته وتأثيره في الشعوب التي اقتبسته ثم نبذته ، ويحلل أسبابه ويتبصر في نتائجه ، ويراجع أقوال الكتاب العزيز والحديث الشريف وعادات القوم ، فيقرّر بعد البحث والتعليل أنه ليس إسلامي الأصل ما دام أنه استعمل عند أمم سبقت الإسلام ، وأنه ليس واجباً على المرأة المسلمة ما دام أن ليس في الشرع نص صريح يأمر به . هو في نظره أثر من آثار الهمجية الأولى ، بل هو « أقصى وأفظع أشكال الاستعباد . ذلك لأن الرجال في عصر التوحش كانوا يستحوذون على النساء أما بالشراء وإما بالاختطاف » ويتابع قائلاً :